

تقرير السرعة العظمى في عالمي الغيب والشهادة – بين القرآن والعلم أ. ناهد عياد البدرى عياد – كلية الآداب – جامعة الزاوية

المقدمة :

يتحرك الكون بما فيه حركة مستمرة مقننة منذ نشوئه إلى اليوم وإلى قيام الساعة، ويقف الإنسان – بما أتيح له من استخدام لوسائل التقنيات الحديثة المطورة – أمام هذه الحركة منبهرًا وعاجزًا عن معرفة القوانين المنظمة لها، وإن دلت هذه الحركة الكونية المحكمة المقدرّة على شيء فإنها تدل على أنها ليست وليدة الصدفة كما يظن الملحدون؛ كما أنها ليست حركة عشوائية أو ذاتية تلقائية، بل هي حركة قضى الله – تبارك وتعالى- لها أن تكون ولا تخضع إلا للقانون الإلهي الأعظم المطلق للكون الذي سخر الله عناصره لمنفعة الإنسان، إن كل ما يتمثل على سطح الأرض بل وما يقع في جوفها هو في حركة مستمرة، ويدور ويتحرك مع دوران الأرض نفسها، يقول الله -تبارك وتعالى-: (لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ)⁽¹⁾.

ومن الإشارات العلمية التي أشار إليها القرآن بهدف إظهار ما في هذه الآيات من سبق علمي من قبل أن يصل العلم المكتسب بواسطة الإنسان إلى شيء منه، حيث لم يصل علم الإنسان إلى شيء منه إلا في العقود المتأخرة من القرن العشرين، ومن هذه الآيات قوله تعالى: (تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ)⁽²⁾ فهذه الآية الكريمة تمثل في تقديري إحدى روائع الإعجاز العلمي للقرآن، حيث تبين حديثاً أنها تشير إلى السرعة العظمى للملائكة في عالم الغيب، والتي لا تخضع أبداً لقياسنا، وذلك لخلو النص القرآني هنا من عبارة "مما تعدون"، بخلاف آية السجدة، في قوله تعالى: (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ)⁽³⁾ فهذه الآية تحدد السرعة القصوى في الكون بقيمة مساوية تماماً لسرعة الضوء في الفراغ طبقاً لتفسير علمي حديث⁽⁴⁾.

ومن خلال ذلك ارتضيت هذه الدراسة لتقرير الفرق بين الآيتين في تحديد كلا من السرعة العظمى للملائكة والروح، والسرعة القصوى للضوء في الفراغ، وذلك لنزع الأشكال بينهما.

إشكالية البحث:

تتمحور إشكالية البحث في تحديد المعنى الصحيح للعروج في الكون هل هو أمر دنيوي أو أمر يتعلق بيوم القيامة؟، وهل آية المعارج تقرر فعلاً للسرعة العظمى في عالم الغيب للملائكة والروح؟ وما هي العلاقة التي تربط الآيتين؟

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث حول الخطأ الذي وقع فيه المفسرون القدماء في تفسير هاتين الآيتين، وتأويلهما إلى غير ما هما عليه؛ وتقدم - أيضاً - هذه الدراسة التفسير العلمي الصحيح لهاتين الآيتين؛ وإثبات أن آية السجدة تتحدث عن السرعة العظمى في الكون الملموس لنا والتي تخضع لقياسنا وهي سرعة الضوء في الفراغ، بينما تتحدث آية المعارج عن السرعة العظمى فيما وراء الطبيعة وهي سرعة الملائكة التي لا تخضع لقياسنا نحن البشر.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى التالي:

- 1- التعرف على المفهوم الصحيح للفظ العروج في الكون.
- 2- إثبات اتفاق النص القرآني مع نظرية علمية يؤكدتها ويجعلها حقيقة يقينية وليست ظنية.
- 3- إثبات أن العروج في الآية للملائكة دنيوي وليس آخروياً كما اعتقد بعض المفسرين.
- 4- دفع شبهة القول بتعارض الآيات التي تحدثت عن هذه الظاهرة.

منهجية البحث:

نظراً لتفرع هذا الموضوع ومدى تعلقه بالعلم الحديث إضافة إلى النقل من كتب الأقدمين، فإنه قد احتاج في دراسته إلى المنهج النقلي والمنهج الاستقرائي، وتطلب هذا البحث استخدام المنهج الاستنباطي في بعض جزئياته.

هيكلية البحث:

يتضمن البحث الجزئيات التالية:

مقدمة :

- رؤية المفسرين القدماء لآيتي السجدة والمعارج.
- الحقيقة العلمية للفظ (يعرج).
- تقرير العلم للسرعة العظمى في الكون:
 - أ- السرعة القصوى للضوء في الفراغ
 - ب- السرعة العظمى للملائكة والروح.

الخاتمة :

وتتضمن أهم النتائج التي توصلت إليها.
وأخيراً أرجو من الله التوفيق والسداد في طرح جزئيات هذا البحث بما يخدم العلم.

أولاً - رؤية المفسرين القدماء لآيتي السجدة والمعارج:

تباينت آراء المفسرين القدماء حول هذه الآيات من حيث العروج المذكور بها وحقيقة اليوم ؛ لذلك سأعرض أقوال بعض المفسرين لمعرفة حقيقة العروج واليوم لديهم.

(يدبر الأمر) قيل: "أي أمر الدنيا وشؤونها، وأصل التدبير النظر في دابر الأمر والتفكر فيه ليحيى محمود العاقبة، وهو في حقه - عز وجل - مجاز عن إرادة الشيء على وجه الإتيان ومراعاة الحكمة⁽⁵⁾."

وعن قتادة: (يدبر الأمر) أي: ينحدر إليه من السماء إلى الأرض ويصعد من الأرض إلى السماء في يوم واحد مقداره ألف سنة في السير خمسمائة حين ينزل، وخمسمائة حين يعرج⁽⁶⁾.

وذكر القرطبي عن ابن عباس قال: "ينزل القضاء والقدر، وقيل: ينزل الوحي مع جبريل"⁽⁷⁾.

وذكر السعدي: (يدبر الأمر) أي: القدر، والأمر الشرعي، الجميع هو المتفرد بتدبيره نازلة تلك التدابير من عند الملك المقدر⁽⁸⁾.

هذه جملة من أقوال بعض المفسرين في حقيقة الأمر المشار إليه.
أما حقيقة العروج المذكور بهذه الآيات فقد ذكر الألوسي: "يعرج إليه" أي: "يصعد ويرتفع ذلك الأمر بعد تدبيره إليه - عز وجل - وهذا العروج مجاز عن ثبوته في

علمه تعالى، أي: تعلق علمه سبحانه به تعلقاً تنجزياً بأن علمه - جل وعلا - موجود بالفعل أو عن كتابته في صحف الملائكة الكرام⁽⁹⁾.

وقال: "العروج إليه - تعالى - صعود خبر الأمر مع الملك إليه - عز وجل - كما هو مروى عن ابن عباس وقتادة ومجاهد وعكرمة والضحاك⁽¹⁰⁾.

وقال يحيى بن سلام: هو جبريل يصعد إلى السماء بعد نزوله بالوحي، ويعرج: كناية عن الملك، ولم يجر له ذكر؛ لأنه مفهوم من المعنى، وقد جاء صريحاً⁽¹¹⁾ في قوله: (تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ)⁽¹²⁾.

وعن الضحاك: (ثم يعرج) قال: تعرج الملائكة إلى السماء، ثم تنزل في يوم من أيامكم هذه، وهو مسيرة ألف سنة⁽¹³⁾.

وأما الهاء في (إليه) فقد ذكر البغوي أنها عائدة على جبريل، أي: يصعد جبريل بالأمر⁽¹⁴⁾، وقال السعدي: "ثم يعرج إليه، أي: الأمر ينزل من عنده، ويعرج إليه ويصله في لحظة"⁽¹⁵⁾.

وقيل: إنها أخبار أهل الأرض تصعد إليه مع حملتها من الملائكة، والضمير في (إليه) يعود على السماء، أو على مكان الملك الذي يرجع إليه، أو على اسم الله تعالى؛ أي: يرجع إلى الموضع الذي أقره فيه⁽¹⁶⁾.

والفعل المضارع في الآيتين يدل على دوام العروج واستمراره، ودوام نفاذ الأمر الكوني دون توقف⁽¹⁷⁾.

قال الألوسي: "إن هذا التعبير بالفعل المضارع يلغي أقوال بعض المفسرين الآخرين الذين توهموا انقطاع التدبير، وانتهاء العروج بعد انقضاء اليوم المشار إليه بلفظ (في يوم)⁽¹⁸⁾.

وقيل: "في يوم" متعلق بالعروج ولا تنازع، والمراد بيوم مقداره كذا يوم القيامة، ولا ينافي هذا قوله تعالى: (فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) بناء على أحد الوجهين فيه لتفاوت الاستطالة على حسب الشدة أو خمسين موطناً كل موطن ألف سنة، وقال ابن عباس: هما يومان ذكرهما الله تعالى في كتابه، الله تعالى أعلم بهما وأكره أن أقول في كتاب الله ما لا أعلم⁽¹⁹⁾.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس - رضي الله عنه - في قوله: "كان مقداره ألف سنة" قال: لا ينتصف النهار في مقدار يوم من أيام الدنيا في ذلك اليوم حتى يقضي بين العباد، فينزل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ولو كان إلى غيره لم يفرغ من ذلك خمسين ألف سنة⁽²⁰⁾.

وبذلك عدّ ابن عباس اليوم المذكور في السجدة هو يوم القيامة، وعن قتادة: مقدار مسيرة في ذلك اليوم (ألف سنة)؛ لأن ما بين السماء إلى الأرض مسيرة خمسمائة عام، ورؤي عنه أنّه قال: مقدار مسيرة ذلك اليوم ألف سنة مما تعدون من أيامكم من أيام الدنيا⁽²¹⁾.

وذكر القرطبي: (في يوم كان مقداره ألف سنة) وهو يوم القيامة، والهاء في (مقداره) راجعة إلى التدبير، أي: كان مقدار ذلك التدبير ألف سنة من سنين الدنيا، أي: يقضي أمر كل شيء لألف سنة في يوم واحد، ثم يلقيه إلى الملائكة، فإذا مضت قضي لألف سنة أخرى، ثم كذلك أبداً، قاله مجاهد⁽²²⁾.

وقال بعضهم: ألف سنة وخمسون ألف سنة كلها في القيامة، يكون على بعضهم أطول، وعلى بعضهم أقصر، أي: يدبر الأمر من السماء إلى الأرض مدة أيام الدنيا، ثم يعرج أي: يرجع الأمر والتدبير إليه بعد فناء الدنيا، في يوم كان مقداره ألف سنة، وهو يوم القيامة⁽²³⁾.

وقال آخرون: بل هو يوم من الأيام الستة التي خلق الله فيها الخلق، كان مقدار ذلك اليوم ألف سنة مما تعدون من أيامكم أي: كل يوم من هذه الأيام كألف سنة مما تعدون أنتم⁽²⁴⁾.

(مما تعدون) أي: مما تحسبون من أيام الدنيا، والياء للغيبية، أي: الذات الموصوف بتلك الصفات المقتضية للقدرة التامة والحكمة العامة⁽²⁵⁾.

هذه جملة مما قاله المفسرون الأقدمون، وبالمجمل فقد أولوا الآيتين على أن اليوم فيها هو يوم القيامة، والأمر فيها آخروي وليس دنيويًا وانتقلوا بها من الحقيقة إلى المجاز.

الحقيقة العلمية لفظ (يعرج):

للوصل لمعنى العروج ذهب العلماء لهذا التمثيل فقالوا: عندما ينطلق صاروخ في الفضاء -مثلاً- متجهاً صوب القمر، أو كوكب ما فإنّه في واقع الأمر مع حركة الأرض وكل الأجرام السماوية لا يتخذ خطأ مستقيماً، بل ينحني في مساره صوب الهدف، وبالتالي يصبح الاتجاه المستقيم منحنيًا وهو معنى العروج⁽²⁶⁾.
إذا فالعروج هو الميل والانعطاف أو عدم الاستقامة، ولذلك لم يعبر بكلمة (يصعد)؛ لأنها تحتل معنيين، الصعود في خط مستقيم، أو في مسار منحني؛ أمّا كلمة (يعرج) فهي الكلمة الوحيدة التي تعبر عن المعنى الحقيقي الكوني، وهو الصعود في مسار منحني وغير مستقيم.

وهذا وصف دقيق يعبر عن الحركة في الكون بما يتماشى مع النظرية النسبية العامة لأينشتين التي تنص بالتأكيد على أن الحركة في الكون لا تعرف الخط المستقيم، حتى الضوء نفسه ينحني في مساره في افقضاء ، فالإنحناء والعروج والدوران والطواف سنة الله - سبحانه وتعالى- في الكون سواء كان المتحرك مادة أو طاقة⁽²⁷⁾.

ولولا المعرفة الحقيقية لعروج الأجسام في السماء لما تمكن الإنسان من إطلاق الأقمار الصناعية، ولما استطاع زيارة الفضاء حتى أصبح من الثابت أن كل جرم متحرك في السماء (مهما كانت كتلته) محكوم بكل القوة الدافعة له، وبالجاذبية مما يضطره إلى التحرك في خط منحني يمثل محصلة من قوى الجذب والطررد المؤثرة فيه⁽²⁸⁾.

ثانيا - تقرير العلم للسرعة العظمى في الكون:

تُعد آيتا السجدة والمعارج تقريراً لسرعتين مختلفتين فقد أثبتت الدراسات العلمية الحديثة أن الأولى تحدد السرعة القصوى في الكون بقيمة مساوية تماماً لسرعة الضوء في الفراغ، بينما تحدد الثانية السرعة العظمى للملائكة التي لا تخضع لقياسنا نحن البشر، ومن خلال الفقرتين الآيتين سوف نوضح هذه القياسات العلمية طبقاً لتفسير علمي حديث.

أ- السرعة القصوى للضوء في الفراغ:

يقول تعالى: (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ)⁽²⁹⁾.

طبقاً للمبدأ الأساسي للنظرية النسبية لأينشتين، فإن السرعة المذكورة، أي سرعة الضوء هي الحد الأعلى للسرعة الكونية، كما أنها مطلقة وليست نسبية؛ لأن قيمتها لا تعتمد على حركة الراصد أو المصدر، وقيمتها ثابت كوني له نفس القيمة في كل مكان وزمان، وهي المطلق الوحيد في الكون، وما عدا ذلك فهو نسبي طبقاً لأعظم قانون عرفته البشرية في القرن العشرين⁽³⁰⁾.

ولهذا تعتبر صفة سرعة الضوء في الفراغ كتابت كوني مطلق أو بالغ الأهمية لدرجة أن الله - سبحانه وتعالى- أشار إلى مقدارها (كحد أقصى للسرعة في هذا الكون المشهود) وأنزل في القرآن الكريم ما يدل عليه في هذه الآية. وفيما يلي التفسير العلمي لهذه الآية مع مناقشة لغوية وعلمية:

إن طبيعة الأمر المذكور في آية السجدة يحدد (لغويًا مقدار سير محدود للأمر كعينة لإعطاء سرعة ثابتة مطلقة وسنة كونية من سنن الله، وليس الأمر خارجا عن السنن

الكونية المعهودة كأمر الكينونة في الخلق من العدم، فالأمر في هذه الآية أمر في عالم الأسباب مضبوط بقانون أزلي ثابت ومحدود بسرعة كونية عظمى، وهذه السرعة خاضعة لقياسنا نحن البشر، ولا توجد سرعة أكبر منها في عالم الشهادة⁽³¹⁾.

وبمفهوم علمي آخر: إن تحول الأمر من السماء إلى الأرض وبالعكس يفيد تحول الطاقة إلى مادة والعكس بصفة مستمرة منذ بداية الكون وحتى نهايته تحولاً دائماً وغير منقطع، وقد توصل العلماء إلى أن هذا الأمر هو الضوء وأسرته وأقرانه من أمواج الجاذبية وجسيمات النيوتريو التي جميعها في الفضاء بالسرعة القصوى⁽³²⁾. ويُعد الأمر في هذه الآية ليس مجازياً؛ لأنه موصوف بصريح العبارة القرآنية بالحركة من السماء إلى الأرض معبراً عنها بلفظ (يعرج إليه) أي: يتحرك في ملكه، وقدرت هذه الحركة - كما ذكرنا - هي الحد الأقصى بسرعة ثابتة ومحدودة في الفراغ، وبهذا فإن الأمر هنا حقيقي خاضع للقياس وليس أمراً مجازياً معنوياً كالقضاء والقدر غير الخاضع للقياس، وما يدل على حقيقته - أيضاً - ورود الأمر هنا بصيغة الإفراد، ليدل على كونها حالات متعددة من أمره الذي يستخدمه الله - سبحانه وتعالى - حقيقة لا مجازاً في التسخير والتهيير في شكل سنن كونية قائمة ومنتشرة في أرجاء السماوات والأرض كالضوء وأمواج الجاذبية وغيرها⁽³³⁾.

كما أن الأمر ليس شرعياً أو خطاباً تكليفاً موجهاً من الله - عز وجل - إلى النبي - صلى الله عليه وسلم -، ولكن يدبره الله من السماء إلى الأرض ثم يعرج - أي: يعود - إليه من الأرض إلى السماء؛ بينما الأمور الشرعية فإنها لا تعود بنفسها إلى السماء بعد نزولها إلى الأرض⁽³⁴⁾.

وبذلك يكون الأمر في هذه الآية هو بيان سنة كونية واقعة في ملك الله تعالى، وليس أمراً تشريعياً أو مجازياً أو ملائكياً أو أمر كينونة (كن فيكون).

أما عن اليوم المذكور بالآية في قوله (فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ...) فإنه لا يفيد اشتمال اليوم على كل السير والتدبير، بل أفاد أن اليوم محدد وليس مطلقاً؛ لأن حرف الجر "في" يفيد معنى الاشتمال والوعاء، وكل وعاء لابد أن يكون محدوداً، أي: أن اليوم المحدد وعاء مشتمل على مقدار محدد من التدبير والسير الدائم غير المحدد؛ فقد حدد الله اليوم ولم يحدد التدبير كمثلاً قولنا: (ماء البحر في الكوب) أي: أن بعضاً من ماء البحر وليس كل البحر، فالمراد هنا دوام نفاذ الأمر والتدبير، واليوم هنا في الآية لا يستوعب كل التدبير والعروج؛ لأن هذا يتعارض مع امتداد هذا الأمر الإلهي الكوني في كل زمان ومكان ويجعله منقطعاً، ويتعارض مع الدوام والاستمرارية في التعبير

بالفعل المضارع، ولكن اليوم هنا وحدة زمنية لقياس السرعة، كما لو قلنا مثلاً: إن سرعة قطار 100 كم في الساعة، فليس معنى هذا أن القطار لن يسير سوى 100 كم، أو لن يستغرق زمناً سوى ساعة ثم يقف السير⁽³⁵⁾.

أما الضمير في (مقداره) فهو عائد على التدبير وليس على اليوم، وعليه فإن المراد من نص الآية هو بيان سرعة السير الكوني في السماء، وليس بياناً عما في السماء، وقد أخطأ بعض المفسرين الذين اعتقدوا أن اليوم هنا يوم القيامة، والذي يعادل في نظرهم 100 سنة قمرية مما نعد، وبهذا خرجوا عن مفهوم النص القرآني؛ لأن الأيام والسنين مما نعد نحن البشر ولا دخل للقيامة في هذه الآية فهي تتعامل مع عالم الشهادة في هذا الكون، وليس مع عالم الغيب⁽³⁶⁾.

وبهذا يكون المقدار هنا القياس والحد، أي: أن سرعته لا تزيد عن هذا الحد، وأما لفظ (كان) فيدل على معنى الأزلية والدوام لأنه في موضع القياس⁽³⁷⁾.

ملحق توضيحي لحساب الحد الأقصى للسرعة الكونية في المعجزة القرآنية:

طبقاً لهذا النص القرآني والتفسير الجديد المعتمد من هيئة الإعجاز العلمي للقرآن الكريم بمكة المكرمة عام 1989م تكون: المسافة التي يقطعها الأمر الكوني في زمن يوم أرضي واحد = المسافة التي يقطعها القمر في فلكه حول الأرض في زمن قدره ألف سنة قمرية.

السرعة القصوى للأمر الكوني × زمن اليوم الأرضي = مسافة 120.000 مدار قمري

$$\frac{\text{مسافة قدرها } 120.000 \text{ مدار قمري}}{\text{زمن اليوم الأرضي}} = \text{السرعة القصوى للأمر الكوني}$$

مع ملاحظة أن كل سنة قمرية بها 12 شهراً قمرياً، أي: 12 مداراً قمرياً طبقاً لقوله تعالى: (إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا)⁽³⁸⁾.

$$\frac{\text{طول مدار القمر} \times \text{المعامل الشهري} \times 120.000 \times \text{المعامل السنوي}}{\text{زمن اليوم الأرضي}} = \text{السرعة القصوى للأمر الكوني}$$

وحيث إن طول مدار القمر حول الأرض = 2 ط نق حيث (ط) النسبة التقريبية = 3.1416 نق = متوسط نصف قطر مدار القمر حول الأرض = 382800 كم، وهذه القيمة هي المتوسط المقاس لنصف قطر (نق) لمدى الـ 75 سنة الأخيرة، وحيث إن القمر يتم دورته حول الأرض في زمن الشهر القمري

النجمي وقدره 27.32 يوماً، بينما يبدو لنا الشهر القمري الاقتراني الظاهري المستخدم في عدّ الشهور القمرية بالفترة بين ظهور هلالين متعاقبين بزمان قدره في المتوسط 29.53 يوماً وبهذا فلا بد من ضرب طول المدار القمري المرصود ظاهرياً (2 ط نق) × المعامل الشهري حيث:

$$0.9252 = \frac{27.32}{29.53} = \frac{\text{زمن الشهر القمري النجمي}}{\text{زمن الشهر القمري الاقتراني}} = \text{العامل الشهري}$$

وهذه النسبة معترف بها عملياً ودولياً وهي من أساسيات علم الفلك⁽³⁹⁾.
وحيث إن النسبة بين التقويم الميلادي الشمسي والتقويم القمري الهجري لعدد السنين معروفة علمياً وقرانياً بأن 300 سنة قمرية يقابلها 291 سنة ميلادية بفرق 9 سنوات طبقاً لقوله: (وَأَلْبِسُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا)⁽⁴⁰⁾ وبهذا فإن المعامل السنوي = $\frac{291}{300} = 0.97$

وحيث إن زمن اليوم الأرضي = $24 \times 60 \times 60 = 86400$ ثانية
وبالتعويض في المعادلة بهذه المقادير نحصل على:

$$\frac{0.97 \times 120000 \times 0.9252 \times 3.1416 \times 2}{86400} = \text{الحد الأقصى للسرعة الكونية}$$

$$= 299797.3 \text{ كم/ ثانية}$$

$$= \text{سرعة الضوء في الفراغ وقدرها دولياً} = 299792.5 \text{ كم/ ثانية}^{(41)}$$

ونلاحظ هنا تطابقاً مهماً مع القيمة الدولية لسرعة الضوء في الفراغ في حدود الخطأ المسموح به في الحساب، ولهذا فإن النتيجة معجزة قرآنية بل وتأكيد قرآني لأعظم مبدأ فيزيائي كوني في النظرية النسبية الخاصة التي أصبحت حقيقة علمية يعترف بها كل الحاصلين على جائزة نوبل في الفيزياء في القرن العشرين.
وبهذا تحقق وعد الله في بيان إحدى آياته الكبرى.

ب- السرعة العظمى للملائكة والروح:

وبهذا يمكننا القول بأن القرآن الكريم وضع حداً وبرزخاً للسرعة في عالم الشهادة يخضع لقياسنا وندركه في العالم الكوني المشاهد المحسوس في آية السجدة(5)، بينما وضع حداً آخر للسرعة في عالم الغيب الذي لا يخضع لقياسنا نحن البشر من خلال

آية المعارج في قوله: (تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) (42).

وبذلك يمكن تحديد سرعة الملائكة والروح المشار إليها بقوله: "خمسین ألف سنة" حيث يدل ذلك أنها قرانياً أكبر من سرعة الضوء خمسين مرة، رغم أننا لا نستطيع قياسها أبداً⁽⁴³⁾، ولكن الله ذكرها للدلالة على أن الملائكة والروح ليست لا نهائية السرعة بل هي من عالم الوجود المخلوق الحادث المقدر الذي تجري عليه سنن الوجود والتقدير.

فتكون مقدار المسافة المقطوعة في اليوم يساوي المسافة التي يقطعها القمر في زمن خمسين ألف سنة بمقياس البشر في الدنيا وليس الآخرة رغم خلو النص من عبارة (مما تعدون)؛ لأن هناك سرعات ندرتها كسرعة الضوء، وهناك سرعات لا ندرتها كسرعة الملائكة؛ لأنها تفوق كل تصور بشري في زمن خارج خيال الإنسان بما لا يحيط به عقل⁽⁴⁴⁾؛ والتي كما وصفها الألويسي: "وإن لم تبعد سرعة الملائكة - عليهم السلام- عند من وقف على سرعة حركة الأضواء وعلم أن الله على كل شيء قدير"⁽⁴⁵⁾.

فاذاً موضوع الآيتين في المعارج والسجدة مختلف، فالיום في الأولى بخمسين ألف سنة، وفي الثانية بألف سنة، ليعبر القرآن عن سرعة الملائكة، وسرعة الضوء على الترتيب؛ أي السرعة في عالم الغيب، والسرعة في عالم الشهادة على الترتيب.

وبهذا يمكننا القول بأن القرآن وضع حداً للسرعة في عالم الغيب وآخر للسرعة في عالم الشهادة؛ ولا وجه للمشككين ولا مطعن للمكذبين ولا حجة للمستشرفين الذين يدعون - ظلماً وعدواناً - بأن هناك تعارضاً في القرآن بدعوى أن اليوم بألف سنة في آية السجدة، بينما بخمسين ألف سنة في آية المعارج، ولكنهم كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه كما قال تعالى: (بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِبُّوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ) (46).

ولعل الحكمة من ذكر سرعة الملائكة والروح التي لا نستطيع قياسها، أنه تحديد إلهي لمخلوقاته كلها يدل على أن الملائكة رغم أن سرعتهم تفوق سرعة الضوء⁽⁴⁷⁾، فهم من عالم الوجود المخلوق الحادث الذي تجري عليه سنن الوجود.

ومما يدل على ذلك أن سرعات الملائكة تخضع لنظرية الكم التي تجعل من حد سرعة الضوء مضاعفاً صحيحاً لهذه السرعة؛ أي أن السرعات ستكون (مثنى وثلاث ورباع) من سرعة الضوء، ويزيدها الله - سبحانه وتعالى- إلى أن تصل إلى خمسين

ضعفاً⁽⁴⁸⁾، كما يمكن أن نفهم من قوله تعالى: (جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنَحَةٍ مَّتَنَّى وَثَلَاثَ وَرُبَاعٍ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)⁽⁴⁹⁾.

وبهذا تتعدد الأجنحة أي السرعات للملائكة لتصل في النهاية إلى الحد الأقصى الموصوف في آية المعارج.

ولقد وضع علماء النسبية افتراضية لهذه السرعة، وذلك يتخيل جسيم اطلقوا عليه (التاكيون) وهذا الجسيم لا يجوز له أن يسافر إلا بسرعة أكبر من سرعة الضوء؛ لأن كتلته تخيليه بعكس جسيم الضوء (الفوتون) الذي كتلته صفر، وجسيمات التارديون ذات الكتلة الحقيقية في عالم الشهادة، والتي تقوم بعدم تخطي سرعة الضوء: ويجوز أن تكون عوالم الملائكة والجن والروح من جسيمات التاكيون التي تفوق سرعتها سرعة الضوء وبذلك تستطيع السفر في الزمن في اتجاه عكسي (مع أن الزمن في عالمنا لا يعود إلى الوراء)⁽⁵⁰⁾.

وبهذا يكون المعلول في عالم الغيب يسبق العلة، كما أن النتيجة تسبق السبب؛ لأن زمن التاكيونات - والملائكة والجن والروح- معكوس.

وقد ضرب الله لنا في القرآن الكريم أمثلة على قدرته المطلقة في عكس الزمن، كتجاوز سرعة الضوء بواسطة الجن في آيات سورة النمل، وذلك بأن أتى أحدهم بعرش بلقيس قبل أن يرتد طرف سليمان أي قبل وصول الضوء إلى عينه⁽⁵¹⁾، كما فهم من النص القرآني في قوله تعالى: (قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ قَالَ عَفْرَيْتُ مَنْ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي)⁽⁵²⁾.

وتقرر هذه الآيات -أيضاً- تفاوت قدرة وسرعة الجن وأن كلا منهم قد أعطاه الله قوة مغايرة لغيره بدليل التفاوت بين الأول والثاني في السرعة، وأنها تجاوزت السرعة القصوى للضوء وهناك إشارة في القرآن الكريم على قدرة الله المطلقة في عكس الزمن كما في قصة سيدنا إبراهيم -عليه السلام- في قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمِنَ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)⁽⁵³⁾.

وهذا يعني انعكاس الزمن في هذه القصة القرآنية لدرجة أن الطير عاد حياً بعد ذبحة ووفاته.

ومن ذلك - أيضاً - أرواحنا التي سوف تتخطى سرعة الضوء عند الوفاة عقب تحررها من الجسد، تماماً كما تفعل عند النوم لنرى أحداثاً في أحلامنا يتحطم فيها عادة حاجز الزمن لنرى المستقبل ونعيش في الماضي⁽⁵⁴⁾؛ كما في قوله تعالى: (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)⁽⁵⁵⁾.

أما في اليقظة فنحن لا يمكن أن نتخطى سرعة الضوء، ولا يمكن بذلك أن نعكس اتجاه الزمن، ولا يمكن أن تكون أجسامنا من جسيمات التاكيون التي تسبح في الزمن دون عائق لتخطيها سرعة الضوء.

نتائج البحث:

من خلال ما سبق نستخلص ما يلي:

- 1- إن السرعة في آية المعارج تفوق سرعة الضوء التي لا تخضع لقياسنا، أي في عالم الغيب وليس في عالم الشهادة، بدليل حذف عبارة (مما تعدون) في وصف الحد الأقصى للسرعة في عالم الغيب.
- 2- إن العروج للملائكة في الآية دنيوي وليس آخروياً كما اعتقد بعض المفسرين أن اليوم في آية المعارج هو يوم القيامة.
- 3- رد شبهة المشككين من المستشرقين بتعارض الآيتين في المعارج والسجدة، وأن كلا منهما قررت سرعة غير الأخرى ففي الأولى تحدد السرعة العظمى فيما وراء الطبيعة، والثانية الحد الأقصى للسرعة في الكون الملموس لنا.
- 4- بيان بلاغة نصوص القرآن واتساع معانيها لمخاطبة الأولين والآخرين بألفاظ معجزة يدرك كل منهم لونها من إعجازها حسب قدرته وإمكانياته.

والله ولي التوفيق

الهوامش:

- (1) يس: 40.
- (2) المعارج: 4.
- (3) السجدة: 5.
- (4) ينظر إعجاز القرآن الكريم في آفاق الزمان والمكان، تأليف: د. منصور محمد حسب النبي، ص75، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، 1996.
- (5) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تأليف: شهاب الدين محمود بن عبدالله الألويسي، 114/11، تحقيق: علي عبدالباري عطية، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى، 1415هـ.
- (6) الدر المنثور، تأليف: عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، 537/6، دار الفكر - بيروت.
- (7) الجامع لأحكام القرآن، تأليف: أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري القرطبي، 86/14، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم إطمش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة الثانية، 1964م.
- (8) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تأليف: عبدالرحمن بن ناصر السعدي، 653/1، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، دار مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1420هـ.
- (9) روح المعاني: 119/11.
- (10) المصدر السابق: 120/11.
- (11) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: 653/14.
- (12) المعارج: 4.
- (13) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، تأليف: محمد بن جرير أبو جعفر الطبري، 167/20، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 2000م.
- (14) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، تأليف: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء 594/3، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، 1420هـ.
- (15) تفسير السعدي: 653/1.
- (16) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: 87/14.
- (17) ينظر: فتح القدير، تأليف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني: 346/5، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، 1414هـ.
- (18) روح المعاني: 116/11.
- (19) المصدر السابق: 121/11.
- (20) الدر المنثور: 538/6.
- (21) ينظر: المصدر السابق: 539/6.
- (22) ينظر: الجامع لأحكام القرآن 87/14.
- (23) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، 595/3 وأضواء البيان في إيضاح القرآن، تأليف: محمد الأمين بن محمد الشنقيطي: 183/6، دار الفكر - بيروت، 1995م.
- (24) ينظر: تفسير الطبري 168/20، وأضواء البيان 183/6.
- (25) ينظر: الجامع لأحكام القرآن 88/14، وروح المعاني: 121/11.

- (26) ينظر: الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية، إعداد: د. أحمد مصطفى متولى، ص39، دار ابن الجوزي - القاهرة، الطبعة الأولى، 2005م.
- (27) ينظر: الإسلام والعلم، تأليف، د. منصور محمد حسب النبي، ص37، دار المعارف، القاهرة، 2001م.
- (28) ينظر: الإشارات القرآنية للسرعة العظمى والنسبية، تأليف، د. منصور محمد، ص35، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى، 2001م.
- (29) السجدة: 5.
- (30) ينظر: إعجاز القرآن في آفاق الزمان والمكان، تأليف: د. منصور محمد حسب النبي، ص75، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، 1996م.
- (31) ينظر: المصدر السابق، ص76.
- (32) ينظر: المصدر نفسه، ص85.
- (33) ينظر: الإشارات القرآنية للسرعة العظمى والنسبية، ص46.
- (34) ينظر كل من: المصدر السابق، ص47، وإعجاز القرآن في آفاق الزمان والمكان، ص85.
- (35) ينظر: المصدر السابق، ص80، والقرآن والعلم الحديث، تأليف: د منصور محمد، ص189، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى، 2001.
- (36) ينظر: القرآن والعلم الحديث، ص190.
- (37) ينظر: إعجاز القرآن في آفاق الزمان والمكان، ص82، والإشارات القرآنية في القرآن، ص69.
- (38) التوبة: 36.
- (39) ينظر: الإشارات القرآنية للسرعة العظمى، ص65.
- (40) الكهف: 40.
- (41) ينظر الإشارات القرآنية، ص72، 75، وإعجاز القرآن في آفاق الزمان والمكان، ص97، 98، والإسلام والعلم الحديث، ص190، 191.
- (42) المعارج: 4.
- (43) ينظر: الإشارات القرآنية، ص56.
- (44) ينظر: إعجاز القرآن في آفاق الزمان والمكان، ص103.
- (45) روح المعاني: 123/11.
- (46) يونس: 39.
- (47) ينظر: الإشارات القرآنية، ص57.
- (48) ينظر: إعجاز القرآن في آفاق الزمان والمكان، ص104.
- (49) فاطر: 1.
- (50) ينظر: الإشارات القرآنية، ص56، 57، وإعجاز القرآن في آفاق الزمان والمكان، ص104-105.
- (51) المصادر السابقة، نفس الصفحات.
- (52) النمل: 38-40.
- (53) البقرة: 260.
- (54) ينظر: القرآن والعلم الحديث، ص125.
- (55) المؤمنون، 99-100.